الفصل الأول

فى أنوار الصلاة

مرتبة الصلاة بين الفروض الإسلامية :

تأتى مرتبة الصلاة – فى أركان الإسلام – بعد الإيمان بالله ورسوله مباشرة : إنها الركن الثانى من أركان الإسلام .

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .

قال : يامحمد أخبرنى عن الإسلام ؟

فقال رسول الله ﷺ :

« الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

قال : صدقت .

قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه .

قال : فأخبرنى عن الإيمان ؟

قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

قال : صدقت .

قال : فأخبرنى عن الإحسان ؟

قال : أن تعبد الله ، كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال : فأخبرنى عن الساعة ؟

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

قال : فأخبرنى عن أمارتها ؟

قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون فى البنيان .

قال : ثم انطلق فلبثت مليًّا ، ثم قال لى : ياعمر ، أتدرى من السائل ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[1].

كيف فرضت الصلاة ؟

لقد كانت القاعدة العامة فى الإخبار بالفروض والواجبات الدينية ، أن ينزل جبريل عليه السلام بالوحى من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ بالأمر أو النهى ، مفصلا أو مجملا .

فلما آن أوان فرض الصلاة اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يسير

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

الأمر على خلاف القاعدة العامة : فلقد استدعى رسول الله ﷺ ليكون بنفسه فى الحضرة الإلهية .

ودون إرادة التشبيه أو التمثيل من قرب أو من بعد نقول :

إن رئيس الجمهورية مثلا حينما يريد أمراً عادياً من وزير من الوزارة فإنه يرسل إليه خطاباً ، أو يكلف مدير مكتبه بالاتصال بالوزير ، أو يستعمل التليفون ، ولكنه يستدعى الوزير حينما يكون الأمر بالغ الأهمية ليتحدث إليه دون وسائط .

وهكذا كان أمر الصلاة ، لقد استدعى رسول الله ﷺ ليكون بنفسه فى الحضرة الإلهية .

وكانت ليلة تكريم هائلة لرسول الله ﷺ بدأت بأن شق عن صدره ، وملئ إيماناً وحكمة . يقول رسول الله ﷺ - فيما رواه الشيخان - عن هذه الليلة :

كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال :

«فرج سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه .. »

وعرج برسول الله ﷺ ، وفتحت له أبواب السماوات فأخذ يتجاوزها سماءً سماءً ، أخذ يتجاوزها مكاناً ، وأخذ يتجاوزها مكانة ، أى أنه أخذ المكانات الروحية ، التى تتمثل فى من هم فى هذه السماوات

بعد أن تجاوز المكانات الروحية التى تتمثل فى من هم على ظهر الأرض ، لقد تخطى فى لحظات كلمح البصر أو هى أقرب ، مكانة آدم عليه السلام فى السماء الأولى ، وهكذا حتى تجاوز فى السماء السابعة مكانة إبراهيم عليه السلام ، ووصل صلوات الله وسلامه عليه إلى سدرة المنتهى ، أى الحد الفاصل بين عالم الملك ، وعالم الملكوت ، وهذا الحد الفاصل لم يتجاوزه أحد من بنى البشر قبل الرسول ﷺ ، وتفضل الله على رسوله ، فتجاوزه الرسول إلى مقام أسمى ، وتجاوز بذلك الكون كله مكاناً ومكانة ، فكان فى عالم النور[1] .

---

(١) قال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) . يقول الإمام الألوسى :

« قد جاءكم من الله نور عظيم وهو نور الأنوار والنبى المختار ﷺ ، وإلى هذا ذهب قتادة واختاره الزجاج » .

وابن خلدون وهو يتحدث عن آفاق الكائنات وأن كلا منها يسلم إلى ما يليه ، سار فى بيان ذلك إلى أن وصل إلى النفس الإنسانية فقال :

« فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الأوقات فى لمحة من اللمحات : وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل . ويقول ابن خلدون :

« وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحانى والإدراك الذى لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك ، فيتسع نطاق إدراكه عن الأوليات التى هى نطاق الإدراك الأول البشرى ويسرح فى فضاء المشاهدات الباطنية ، وهى وجدان كلها لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها . وهذه مدارك العلماء والأولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية ، وهى الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة فى البرزخ . وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيتها وروحانيتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى ، ليصير فى لمحة من -

وتخطى الرسول ﷺ ، مقام سدرة المنتهى إلى مقام قاب قوسين ، ثم تخطى مقام قاب قوسين إلى أدنى منه .

إن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾

علم الصالحون أن فضل الله وكرمه وجوده ، وأن رحمته وإنعامه : إن كل ذلك لن يقف عند «قاب قوسين» ، وإنما سيصل إلى هذا المقام ثم يتجاوزه إلى «أو أدنى»

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى أقصى مايمكن أن يصل إليه بشر فى مقام القرب :

– لقد وصل رسول الله ﷺ إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام . روى الشيخان واللفظ لمسلم ما يلى :

قال ابن شهاب : وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأباحبة الأنصارى كانا يقولان ، قال رسول الله ﷺ :

«.. ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» .

وأدخل رسول الله ﷺ الجنة .

= اللمحات ملكاً بالفعل ، وحصل له شهود الملأ الأعلى فى أفقهم وسماع الكلام النفسانى والخطاب الإلهى فى تلك اللمحة . وهؤلاء الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية فى تلك اللمحة ، وهى حالة الوحى ، فطرة فطرهم الله عليها ، وجبلة صورهم فيها ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية ، بما ركب فى غرائزهم من القصد ، والاستقامة التى يحاذون بها تلك الوجهة » .

روى الشيخان – من حديث طويل – قال : قال رسول الله ﷺ :

« ثم انطلق بى جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ماهى . قال :

ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ[1] ، وإذا ترابها المسك » .

نقول : إنه لما وصل رسول الله ﷺ إلى مالم يصل إليه ملك مقرب ، ولانبي مرسل ، حينئذ يقول الله سبحانه وتعالى فى ذلك : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾.

وكان مما أوحاه إليه أمر الصلاة . لقد أوحيت إليه فى أسمى أفق . وأوحيت إليه عن طريق مباشر ، لقد استدعى ليكون فى الحضرة الإلهية بنفسه ، وليتلقى بشرى الصلاة بنفسه .. الصلاة بكل ماتشتمل عليه من رموز ، وبكل ماتشتمل عليه من أعمال واضحة ، ومن أقوال فى غاية الرفعة . تلقى الرسول ﷺ كل ذلك فى الليلة المباركة التى رأى فيها من آيات ربه الكبرى .

الصلاة صلة بين العبد وربه :

ونزل رسول الله ﷺ ، يبشر بالصلاة على وجه الأرض ، يدعو إليها صلة بين العبد وربه .

والصلاة – فى أعراف المسلمين – وسيلة الصلة بالله ، وهى

---

(١) الجنابذ : القباب .

معراجهم إلى الله سبحانه وتعالى ، لقد قال أحد الصالحين فيها :

«إن الوقوف فى الصلاة بمثابة الإسراء إلى بيت المقدس ، والركوع بمثابة الوصول إلى سدرة المنتهى ، والسجود بمثابة قاب قوسين أو أدنى » .

الاستشفاع بالصلاة :

وكان الرسول ﷺ ، إذا حزبه أمر ، أو حزنه أمر ، فزع إلى الصلاة .

روى الإمام أحمد وأبو داود – عن حذيفة رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ كان إذا حزنه أمر صلى – وفى رواية : «كان إذا حزبه أمر صلى » .. وحزن وحزب يتقاربان فى المعنى ..

ومن المعروف عنه – ﷺ – أنه كان إذا أهمه أمر التجأ إلى الله ، مستشفعاً ومتوسلا بالصلاة ..

فالصلاة شفاعة إلى الله فى قضاء الأمور ، ووسيلة إلى الله فى تفريج الكروب ..

ومن هنا كانت مشروعية صلاة قضاء الحاجة ، وعن هذه الصلاة يقول الإمام الدهلوى :

«والأصل فيها أن الابتغاء من الناس ، وطلب الحاجة منهم مظنة أن يرى إعانة ما من غير الله تعالى ، فيخل بتوحيد الاستعانة ، فشرع لهم

صلاة ودعاء ، ليدفع عنهم هذا الشر ، ويصير وقوع الحاجة مؤيداً له فيما هو بسبيله من الإحسان » ..

وعن عبد الله بن أبي أوفى – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ :

« من كانت له إلى الله حاجة ، أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ ، وليحسن الوضوء ، وليصل ركعتين .. ثم ليثن على الله ، وليصل على النبى ﷺ .. ثم ليقل :

لا إله إلا الله الحليم الكريم .. سبحان الله رب العرش العظيم .. الحمد لله رب العالمين .. أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم . لا تدع لى ذنباً إلا غفرته ، ولاهماً إلا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها ياأرحم الراحمين »[1] ..

وفى رواية لابن ماجة :

« ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ماشاء ، فإنه يقدر .. »[2]

وهناك صيغة أخرى لصلاة قضاء الحاجة ، ولعلها خاصة بالمهمات الكبرى ، والحاجات العظيمة :

روى ابن مسعود – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال :

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم .

« اثنتا عشرة ركعة تصليهن من ليل أو نهار ، وتتشهد بين كل ركعتين . فإذا تشهدت فى آخر صلاتك[1] ، فأثن على الله عز وجل ، وصلّ على النبى ﷺ . واقرأ وأنت ساجد[2] فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسى[3] سبع مرات ، وقل :

لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير عشر مرات ، ثم قل :

اللهم إنى أسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، واسمك الأعظم ، وجدك الأعلى ، وكلماتك التامة . ثم سل حاجتك ، ثم ارفع رأسك ، ثم سلم يميناً وشمالا . قال بعض السلف : لاتعلموها السفهاء ، فإنهم يدعون بها فيستجابون .

رواه الحاكم ، وقال : قال أحمد بن حرب : قد جربته فوجدته حقًّا ، وقال إبراهيم بن على الديبلى :

قد جربته فوجدته حقًّا . وقال الحاكم : قال لنا أبو زكريا : قد جربته فوجدته حقًّا ، قال الحاكم : قد جربته فوجدته حقًّا . تفرد به عامر بن خداش ، وهو ثقة مأمون » .

---

(١) أى إذا انتهت الصلاة وختمتها بالسلام .

(٢) هذا السجود يكون بعد الصلاة .

(٣) وهى الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

صلاة التوبة :

ومن هنا أيضاً كانت صلاة التوبة ، يتوسل الإنسان بها إلى الله سبحانه وتعالى فى مغفرة الذنوب ، وهى كما يلى :

عن أبى بكر - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«مامن رجل يذنب ذنباً ، ثم يقوم فيتطهر ، ثم يصلى ، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له» ثم قرأ هذه الآية :

﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا ، وهم يعلمون ﴾

صلاة الاستخارة :

ومن هنا أيضاً كانت صلاة الاستخارة التى كان يعلمها رسول الله ﷺ للصحابة ، كما يعلمهم الآية من القرآن الكريم ، وهى كما يلى :

أخرج الإمام أحمد والإمام البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال :

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى وذكره ابن خزيمة بغير إسناد وروى نحوه الترمذى وغيره .

كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول :

« إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل :

اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب .

اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى (أو قال : عاجل أمرى وآجله) فأقدره لى ، ويسره لى ، ثم بارك لى فيه .

اللهم وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى (أو قال : فى عاجل أمرى وآجله) فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، وأقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به . ويسمى حاجته » .

فضل الصلاة :

ومن هنا أيضاً كان الفضل الهائل الذى تحدث به رسول الله ﷺ عن الصلاة .

روى الإمام مسلم بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها

وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ ، أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة . ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان ، وأبي بن خلف » .. رواه أحمد .

مما تمتاز به الصلاة :

واقتضت هذه المكانة السامية للصلاة أن تمتاز بأمور .

من هذه الأمور :

أن لها مقدمات . وهذه المقدمات منها : الطهور .

والطهور نفسه وإن كان وسيلة للصلاة ، إلا أن له قيمة ذاتية ، فهو في نفسه أيضاً مطلوب .

إنه مطلوب لذاته ، وهو مطلوب كوسيلة للصلاة ، والله سبحانه وتعالى يعلن أنه يحب المتطهرين .

يقول سبحانه في سورة التوبة :

﴿ والله يحب المطَّهرين﴾ [1] .

---

(١) التوبة : ١٠٨ .

ورسول الله ﷺ يعلن أن الطهور شطر الإيمان .

روى الإمام مسلم رضى الله عنه فى صحيحه ، عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ :

« الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) مابين السموات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ».

ويشرح الإمام النووى الحديث فيقول :

هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام قد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام ، فأما الطهور ، فالمراد به الفعل فهو مضموم الطاء على المختار وقول الأكثرين ، ويجوز فتحها كما تقدم . وأصل الشطر : النصف .. واختلف فى معنى قوله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان » .. فقيل : معناه أن الأجر فيه ينتهى تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان . .

وقيل : معناه أن الإيمان يجب ماقبله من الخطايا .. وكذلك الوضوء .. لأن الوضوء لايصح إلا مع الإيمان ، فصار لتوقفه على الإيمان فى معنى الشطر ..

وقيل : المراد بالإيمان هنا الصلاة .. كما قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ .. والطهارة شرط فى صحة الصلاة فصارت كالشطر – وليس يلزم فى الشطر أن يكون نصفاً حقيقيًّا .. وهذا القول

أقرب الأقوال .. ويحتمل أن يكون معناه : أن الإيمان تصديق بالقلب ، وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ..

والطهارة متضمنة الصلاة فهى انقياد فى الظاهر والله أعلم ..

ثم يقول الإمام النووى عن قول رسول الله ﷺ :

« والصلاة نور » معناه : أنه يكون أجرها نوراً لصاحبها يوم القيامة .

وقيل : معناه أنها تمنع من المعاصى ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدى إلى الصواب : كما أن النور يستضاء به .

وقيل : لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف ، وانشراح القلب ، ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها ، وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه ، وقد قال الله تعالى :

﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

وقيل : معناه أنها تكون نوراً ظاهراً على وجهه يوم القيامة ، ويكون فى الدنيا – أيضاً – على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل ..

وفى فضل هذه الوسيلة : الوضوء ، يقول ﷺ :

« إن أمتى يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل »[1].

ولمسلم عن أبى حازم رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، أتى المقبرة فقال :

---

(١) رواه البخارى ومسلم . والغر المحجلون : من فى جبهتهم وسوقهم بياض ، والمراد النور .

السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا . قالوا : أو لسنا إخوانك يارسول الله ؟

قال : أنتم أصحابى ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد .

قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله ؟

قال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟

قالوا : بلى يارسول الله .

قال : فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض »[1] .

ومن مقدمات الصلاة الأذان ، أى الإعلام بالصلاة ، ولقد دعا رسول الله ﷺ للمؤذنين فقال :

اللهم اغفر للمؤذنين . وأخبر رسول الله ﷺ بأن المؤذن المحتسب على كثيب من مسك يوم القيامة يغبطه الأولون والآخرون .

ماتقتضيه مكانة الصلاة :

واقتضت مكانة الصلاة طهارة الثوب الذى يصلى فيه الإنسان ، وطهارة مكان الصلاة ، وطهارة جسد الإنسان من كل مايتنافى مع

(١) رواه مسلم وغيره . والفرط : الذى يهيئ ويصلح لباقى الجماعه .

الطهارة ، وطهارة الإنسان من الحدث الأصغر وطهارته بالاستحمام من الحدث الأكبر .

إن جو الصلاة كله طهر : طهر مادى ، وطهر معنوى .

ومما يرمز إلى الطهر المعنوى ، ويدعو إليه : النية فى الصلاة واستحضار قول الرسول ﷺ :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ماهاجر إليه » [رواه البخارى وغيره] .

وقوله ﷺ :

« إن الله تعالى لاينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » [رواه مسلم وابن ماجه].

وقوله ﷺ فيما رواه عن ربه :

« أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء ، وهو للذى أشرك »[1].

وكل هذه الأحاديث الشريفة متناسقة مع قول الله سبحانه :

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى ، ورواة ابن ماجه ثقات .

﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾[1].

ومعنى ذلك أن ماليس خالصاً ، فليس لله فيه من نصيب ، أعنى أنه لايتقبله ولايثيب عليه .

إقامة الصلاة :

ومن هنا كان لابد من « إقامة » الصلاة .

والله سبحانه وتعالى حينما يتحدث عن الصلاة فى القرآن الكريم ، وحينما يتحدث الرسول ﷺ عنها فى الأحاديث النبوية الشريفة ، فإنما يتحدثان عن الصلاة المقامة ، يقول سبحانه فى معرض الحديث عن المخبتين :

﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾[2].

ويقول :

﴿ لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة﴾[3].

ويقول سبحانه :

﴿ قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴾[4].

---

(١) سورة الزمر : من الآية ٣.
(٢) سورة الحج آية : ٣٥ .
(٣) سورة النساء آية : ١٦٢ .
(٤) سورة إبراهيم آية : ٣١ .

ويقول سبحانه لرسوله ﷺ :

﴿ وَأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ﴾[1].

ويقول له :

﴿ اتل ماأوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ﴾[2].

ويخاطب المؤمنين فيقول لهم :

﴿ وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة ﴾[3].

وهكذا فى آيات القرآن التى تتحدث عن الصلاة المطلوبة ، فإنها تضيف إلى لفظ الصلاة لفظة : أقام ، أو أقيموا ، أو يقيمون ..

فإذا ماتحدثت عن صلاة المنافقين ، فإنها تذكرها من غير ذلك :

﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾[4] .

ماالصلاة المقامة ؟

إنها الصلاة كما يحب الله ورسوله .

كيف ؟

حينما يتجه الإنسان إلى الله فيقف بين يديه مستقبلاً القبلة ويقول : «الله أكبر» مفتتحاً بها الصلاة ، فإنه يكون قد ابتدأ إحرام الصلاة ، وهذه التكبيرة إنما هى : تكبيرة الإحرام .

وإذا ماأحرم الإنسان للصلاة فإنه يتجه إلى الله كلية محققاً :

---

(١) سورة هود آية : ١١٤ .
(٢) العنكبوت آية : ٤٥ .
(٣) البقرة آية : ٨٣ .
(٤) الماعون الآيتان . ٤ ، ٥ .

﴿إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ [1] .

ومحققا قوله تعالى :

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [2] .

يحقق ذلك بقدر الاستطاعة .

بمعنى أنه منذ « الله أكبر » لايفكر فى الوظيفة أو المال أو الأهل أو الأصدقاء أو الجاه أو السلطان ، لايفكر فى العالم المادى ، إنه وقد اتجه إلى الله يقصر تفكيره فيه ، موجهاً وجهه إليه .

ويبدأ بالفاتحة ، هذه السورة التى تفتح كل الأبواب المغلقة . إنها الفاتحة ، وهى أم القرآن ، وأصل القرآن ، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج على أبى بن كعب ، فقال : « ياأبى » وهو يصلى ، فالتفت أبى فلم يجبه ، وصلى أبى فخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام عليك يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ :

« وعليك السلام ، مامنعك ياأبى أن تجيبنى إذ دعوتك ؟ » .

---

(١) الأنعام/٧٩ .

(٢) الأنعام/١٦٢ ، ١٦٣ .

فقال : يارسول الله ، إنى كنت فى الصلاة .

قال : فلم تجد فيما أوحى الله إلى أن : ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لمايحييكم ﴾ (الأنفال/ ٢٤) .

قال : بلى ، ولا أعود إن شاء الله . قال :

أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها ؟

قال : نعم يارسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : «كيف تقرأ فى الصلاة ؟»

قال : أقرأ أم القرآن .

فقال رسول الله ﷺ :

«والذى نفسى بيده ، ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ، ولا فى الزبور ، ولافى الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته»[1].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله تعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل . وفى رواية : «فنصفها لى ونصفها لعبدى» .

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحها ، والحاكم باختصار عن أبى هريرة عن أبى ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

فإذا قال العبد : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله حمدنى عبدى .

فإذا قال : ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال : أثنى على عبدى .

فإذا قال : ﴿مالك يوم الدين﴾ قال : مجدنى عبدى .

فإذا قال : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل .

فإذا قال : ﴿اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل [1] .

ولا غرابة فى كون الفاتحة بهذه المكانة ، إنها تبدأ بالحمد لله رب العالمين .

وما من شك فى أن الحمد كله لله ، لأن النعمة كلها منه ، إنه مصدر النعم الباطنة ، وهو مصدر النعم الظاهرة :

﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [2] .

إنها من الله ولو أتت على يد بشر ، وذلك أن البشر فى إسداء النعم ليسوا إلا مسخرين ، لقد سخرهم الله سبحانه ، فالنعمة منه ، وهو الذى هيأ لها الظروف ، وأوجد لها المناسبات ، وسبب لها الأسباب ، ولو شاء سبحانه لأمسكها :

---

(١) رواه الإمام مسلم .

(٢) النحل آية : ٥٣ .

﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ [1] .

إنه وحده سبحانه المهيمن ، المتصرف الرازق ، المعطى المانع ، الضار النافع ، لا يملك من ذلك أحد شيئاً معه . فالحمد له ، كل الحمد له .

وإذا كان قد أمرنا أن نشكر من كان السبب فى وصول النعمة إلينا فإن ذلك لا ينسينا أنه وحده صاحب النعم ، المسديها متفضلاً المانحها بحكمته : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

ثم تأتى الآية الثانية : ﴿الرحمن الرحيم﴾.

فتكون عبارة عن صفتين من صفات الله تعالى ، تصفان الله بالرحمة ، إنه رحمان ، وإنه رحيم . يقول الإمام الصاوى :

« وفى الإتيان بالرحمن الرحيم عقب اتصافه برب العالمين – ترغيب بعد ترهيب ، فيكون أعون للعبد على الطاعة ، وأمنع من المعصية » .

فإذا أردت التحديد الفاصل بين هاتين الصفتين فسيعجز العقل عن ذلك ، بيد أنك إذا تدبرت القرآن وجدت استعمالات للرحمن لا يتأتى أن تكون للرحيم ، والعكس أيضاً صادق :

فمن اختصاصات « الرحمن » أنه علم القرآن وأنه خلق الإنسان ، وأنه علمه البيان . يقول سبحانه فى السورة التى عنوانها الرحمن :

---

(١) فاطر آية : ٢ .

﴿الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان﴾.

وللرحمن عباد ، إنهم «عباد الرحمن» .

لقد اصطفاهم الرحمن ، وبين صفاتهم فقال :

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [1] . إلى آخر الآيات التى تأتى فى نهاية السورة الكريمة التى تفرق بين الصراط المستقيم والطريق المنحرف : سورة الفرقان .

وتأمل القرآن لترى دقائق كثيرة فى استعمال الرحمن ، وفى استعمال الرحيم .

أما علماء التفسير رضى الله عنهم ، فإنهم قالوا :

«إن الرحمن : هو المنعم بجلائل النعم ، والرحيم هو المنعم بدقائقها» .

وهذا التفسير قد يجد له ما يبرره من الشواهد .

والفاتحة على وجه العموم ثرية بالمعانى ، وكل آية فيها تحتاج من المصلى إلى تدبر متجدد ، ومعانيها ، لمن صفا قلبه ، لا تنفد .

ويستمر المصلى فى تدبر ما يقرأ إلى أن يحين أوان الركوع ، والركوع تعبير عن التواضع والخشية ، وكأنه مقدمة للسجود الذى هو رمز لمنتهى التواضع والخضوع لله سبحانه . والركوع والسجود – وهما رمزا الخشية والتواضع – وردا ضمن صفات المؤمنين المحمودة المطلوبة . إن من

---

(١) الفرقان آية ٦٣ .

صفات المؤمنين كما قال الله عنهم :

﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾[1] . ولقد طلب من مريم عليها السلام أن تكون ساجدة راكعة :

﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدى واركعى مع الراكعين﴾[2].

ولقد أمر سيدنا إبراهيم ، وسيدنا إسماعيل عليهما السلام أن يطهرا البيت : ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾[3] .

ولأن السجود منتهى التواضع لله تعالى كان وسيلة القرب منه سبحانه ، ولن يكون القرب من الله سبحانه إلا إذا كان عن طريق العبودية ، وكلما صفت العبودية لله تعالى تفضل سبحانه فقرب عبده منه . وما تأتى للمقربين أن يكونوا مقربين إلا بخلوص عبوديتهم له سبحانه ، ومظهر ذلك منهم السجود : السجود الظاهر ، وسجود الباطن أى سجود القلب . وإن للقلب سجوداً كسجود الجوارح ، فإذا سجد القلب سجدت على الحقيقة الجوارح ، ولن تسجد الجوارح حقاً إلا إذا

---

(١) التوبة : ١١٢ .

(٢) آل عمران آية : ٤٣ .

(٣) البقرة آية ١٢٥ .

سجد القلب ، وسجود القلب هذا من نهايات الطريق إلى تحقيق الإسلام ، ولقد سأل عمرو بن عنبسة رسول الله ﷺ عن الإسلام ، فقال :

« أَنْ يسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك »

وإسلام القلب لله هو السجود على الصورة المثلى للسجود .

ومن هنا كان السجود الحق لله هو الإسلام الصادق ومن هنا كان السجود طريق القرب من الله سبحانه ، يقول تعالى :

﴿ واسجد واقترب ﴾ (١) .

ويقول ﷺ :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » (٢) .

ومن دقيق ما يروى فى أمر السجود ما يلى :

روى الإمام مسلم – رضى الله عنه – فى صحيحه عن أبى فراس ربيعة بن كعب الأسلمى – خادم رسول الله ﷺ ومن أهل الصفة . رضى الله عنه – قال :

كنت أبيت مع رسول الله ﷺ ، فآتيه بوضوئه وحاجته ، فقال : سلنى .

فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة .

---

(١) العلق : ١٩ .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

فقال : أو غير ذلك ؟

قلت : هو ذاك .

قال : «أعنى على نفسك بكثرة السجود» . .

والسجود إذن مما يعين على ترويض النفس لتزكى . وهو بذلك من الوسائل التى توصل إلى الجنة .

وفى هذا المعنى يروى مسلم أيضاً عن أبى عبد الرحمن ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«عليك بكثرة السجود فإنك لن تسجد لله سجدة ، إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة» .

والسجود الذى يريده رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه فى هذه الأحاديث ليس هو مجرد الحركة المعروفة ، وإنما هو — مع هذه الحركة — المعنى العميق فى النفس الذى يتمثل فيه جلال الله وعظمته ، ورحمته ووده ، ويتمثل فيه الخضوع لهذا الجلال وهذه العظمة ، والانقياد المطلق لرحمة الله التى تتمثل فى الرسالة الإسلامية ، أوامرها ونواهيها .

وتنتهى الصلاة بالتشهد ، وتختم بالسلام ، والصلاة المقامة إذن هى الصلاة كما أحب الله ورسوله .

وكما أمر الله سبحانه بإقامة الصلاة فإنه أمر بالمحافظة عليها :

﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [1] .

والمحافظة على الصلاة لا تتمثل فقط فى أدائها ؛ وإنما : فى أدائها فى أول أوقاتها ، وأول الوقت رضوان الله ، ووسطه رحمة الله ، وآخره مغفرته تعالى .

وأمر الله سبحانه وتعالى بالدوام على الصلاة .

﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ [2] .

والدوام على الصلاة أن يكون الإنسان فى جوها على الدوام . . أن يكون فى جو الصلاة وإن لم يكن فى الصلاة . . أن يكون مصلياً فى معمله ، أو فى مصنعه ، أو فى مزرعته ، أن يكون مصلياً فى صمته وفى نطقه ، وفى حركته وفى سكونه ، وأن تكون حياته صلاة .

وأمر الله سبحانه بالخشوع فى الصلاة ، ووصف المؤمنين بأنهم .

﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ [3] .

وعن الخشوع فى الصلاة ، وردت بعض الأحاديث : فروى الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته فى صلاته ، فقال :

«لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه» .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

(٢) سورة المعارج آية ٢٣ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٢ .

وروى الإمام البخارى وأبو داود والنسائى ، عن عائشة رضى الله عنها قالت :

سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات فى الصلاة ، فقال :

« هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » .

والأمر الثالث الذى يبين أهمية الصلاة – أنه إذا فقد الماء الذى يتوضأ به الإنسان للصلاة فإن الصلاة لا تسقط ، بل يحل التيمم محل الوضوء .

والأمر الرابع : هو أن الله سبحانه وتعالى جعل كيفية خاصة للصلاة بالنسبة للجنود المحاربين ، فحالة الحرب لا تسقطها ولا تلغيها .

الصلاة كفارة للذنوب :

روى الطبرانى فى الأوسط والصغير بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » .

فى هذا الحديث الشريف ينفى رسول الله ﷺ الدين عن تارك الصلاة .

وما من شك فى أن من تركها منكراً لها – لا دين له .

ومن تركها استهتاراً بها لا دين له . ومن تركها غير مبال بها لا دين له .

أما من حافظ عليها ، وأداها بشروطها – فإن رسول الله ﷺ يتحدث عنه فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله» .

وإذا أديت الصلاة على هذا النسق الذى ذكره رسول الله ﷺ فإنه لا خوف على صاحبها من إتيان الكبائر ، فسيعصمه الله عنها . وذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (١) .

والصلاة من هذا النسق إنما هى الصلاة التى أقامها صاحبها . إنها الصلاة التى أمر الله بإقامتها ، فمعنى إقامتها التى تقرن بها فى القرآن إنما هى أن يؤديها الإنسان على ما أحب الله ورسوله ، فيحسن الوضوء أولاً . هذا الوضوء الذى قال رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم : «الطهور شطر الإيمان» .

---

(١) العنكبوت/٤٥

وقال عنه صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الشيخان : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن أمتى يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» .

أى من استطاع منكم أن يداوم على الوضوء ،كلما أحدث توضأ ، فليفعل .

وذكر رسول الله ﷺ إحسان الخشوع فى الصلاة .

ومصدر خشوع الجوارح ، إنما هو خشوع القلب ، فإذا ما خشع قلب الإنسان خشعت جوارحه . وخشوع القلب إنما يتأتى بوضوح من مكانة الصلاة فى ذهن المصلى ، مكانتها من الدين ، وأنها عماد الدين : فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها بأية صورة من صور الهدم فقد هدم الدين ، ومن سها عنها فويل له ، إنه مكذب بالدين . يقول سبحانه :

﴿فويل للمصلين ٭ الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ (١) .

ويتحدث رسول الله ﷺ ، عن إحسان الركوع ، وذلك يشمل إحسان السجود ، وإحسانها إنما هو بركوع القلب وسجوده ، فإذا ما سجد القلب لله سبحانه مع سجود الجبهة له كان فى ذلك القرب من الله سبحانه . يقول الله تعالى ﴿واسجد واقترب﴾ (٢) .

---

(١) الماعون/٤ ، ٥ .

(٢) العلق / ١٩ .

ويقول رسول الله ﷺ : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله .

ويقول ﷺ – فيما رواه الإمام مسلم – عن الذى أحسن الوضوء : «فإن هو قام فصلى فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ومجده بالذى هو له أهل ، وفرغ قلبه لله تعالى – انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه» .

أما كونها كتاباً موقوتاً : فمعناه أنها فرض ، له وقت معين ، أى مؤقت بأوقات محددة لا يجوز أن نتجاوزها دون أدائها ، وذلك يعنى أوقاتها الخمسة المحددة فى الشريعة الإسلامية . وهذا التحديد بالوقت باق على حسب أصول الشريعة ببقاء الإنسان لا يسقط فى أى سن ولايسقط مهما وصل الإنسان من الدرجات الروحية . بل إن الدرجات الروحية تبعث الإنسان فى صورة أقوى على المحافظة على الصلاة .

ومن أجل ذلك فإن كل من يزعم أنه وصل إلى درجة تسقط فيها الصلاة عنه فإنه مفتر على الحق ، خائن للأمانة الدينية.

وقديماً ذكر رجلٌ المعرفَة أمام الجنيد وقال :

أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل . فقال الجنيد :

إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندى عظيمة . والذى يسرق ويزنى أحسن من الذى يقول هذا .

يقول الله تعالى :

﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[1].

الخشوع فى الصلاة :

يقول الله تعالى :

﴿قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾[2].

وللخاشعين صلاة يتمثل فيها الخشوع حقيقة حتى تكون صالحة مقبولة ، فقد روى الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن قرط أن رسول الله ﷺ قال :

« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة . فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » .

ولقد روى الطبرانى أيضاً أن رسول الله ﷺ ، قال فى حديث له :

«إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد» .

من أجل ذلك حاول الخاشعون أن يحققوا فى صلاتهم قوله تعالى :

﴿وقوموا لله قانتين﴾[3].

والقنوت هو الخشوع فى جميع حركات الصلاة ، من قيام ،

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٣ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ١ ، ٢ .

(٣) البقرة آية : ٢٣٨ .

وقراءة ، وركوع ، وسجود . وإن الرجلين يكونان فى الصلاة وبينهما من الفضل ، ما بين السماء والأرض .

أما أحدهما : فهو خاشع متبتل مقبل على الله سبحانه ، بفكره وذهنه ، والآخر جسمه فى الصلاة وفكره خارجها .

ولقد روى المحاسبى أنه قيل لبعض التابعين : إنا نجد وسوسة فى الصلاة ، فقال : أنا أجد ذلك . فقيل له : ما الذى تجد ؟

قال : أجد ذكر الجنة والنار ، وكأنى واقف بين يدى ربى . فقالوا : إنا نجد ذكر الدنيا وحوائجها .

فقال : لأن أخرّ من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن يعلم الله ذلك من قلبى .

وصلاة الخاشعين ، هى الصلاة التى تتهافت معها الذنوب ، كما يتهافت ورق الشجر فى الشتاء .

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه - أن النبى ﷺ خرج فى الشتاء ، والورق يتهافت ، فأخذ بغصن من شجرة ، قال : فجعل ذلك الورق يتهافت . فقال : يا أبا ذر . قلت : لبيك يا رسول الله . قال :

« إن العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله ، فتتهافت عنه ذنوبه ، كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة » .

والعبد الذى يريد بصلاته وجه الله تعالى ، هو الذى يحافظ

ما استطاع على أن يكون متمثلاً فى صلاته وقوفه بين يدى الله جل جلاله ، وأن يكون فى صلاته مع صلاته قراءة وتعظيماً ، وتسبيحاً . وأن يحافظ على الوقت فى أوله . فقد روى الدار قطنى أن رسول الله ﷺ قال .

« أول الوقت رضوان الله ، ووسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله عز وجل » .

إن الصلاة التى من هذا النوع هى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ومن أجل ذلك تدخل صاحبها الجنة :

عن عبادة بن الصامت ، فيما رواه ابن حبان فى صحيحه قال : أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن ، وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن – كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه » .

نعوذ بالله من عذابه ونرجوه أن يدخلنا جميعاً برحمته فى عداد عباد الرحمن .

تشتت الذهن فى الصلاة :

إن الصلاة من النعم الكبرى التى أنعم الله بها على الأمة الإسلامية ،

لتحقق الصلة به سبحانه .

إنها الكيفية ، وهى الطريقة ، وهى الوسيلة ، وهى اللحظات الجليلة التى تتم فيها الصلة وتتحقق . إنها فترة مناجاة ، فترة انقطاع كامل – ويجب أن يكون كاملاً – عن عالم المادة ، وعن عالم الشهوات ، وعن عالم الفتنة ، لتتخلص النفس إلى المنعم حتى تنعم فى رحابه بسعادة الصلة به والقرب منه !

ومن أقام الصلاة فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين .

إن إقامة الصلاة ، أو إقامة الدين – إنما هى إقامة الصلة بالله ، وتحقيق ذلك هو المثل الأعلى ، والغاية العظمى ، والسعادة الكاملة التى يجرى وراءها المؤمنون ليحققوا بها معراجهم نحو الله تعالى .

وما من شك فى أن الصلاة يقيمها الإنسان كما أراد الله ورسوله من أنجح الوسائل فى القرب من الله ، إنها البراق الذى يجتاز به المؤمن فى سرعة سريعة طبقات البعد عن الله سبحانه ليصل إليه تعالى ، فينعم فى رحابه .

ومع ذلك فإن انشغال الفكر فى الصلاة أمر يشبه أن يكون منتشراً بين كثير من المسلمين فى العصر الحاضر .

والشكوى من ذلك كثيرة متعددة ، ولا مفر من الالتجاء إلى الله فى صرف هذه الحالة ولابد مع ذلك من المحاولات الصادقة للتخلص منها .

وليس الأمر فى الحقيقة بالعسير عسراً شديداً ، فلو وطن الإنسان

العزم على أن يجمع شتات فكره ، وصدقت نيته فى ذلك فإنه سينتهى إلى ما يحب إن شاء الله تعالى .

ومن المعروف فى الجو الإسلامى – أنه ليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل ، وأن ثوابه إنما هو بمقدار انتباهه وتعقله للصلاة ، أو بمقدار إقامة الصلاة على حد التعبير القرآنى ، وإقامتها إنما تكون بأدائها على أتم ما تكون التأدية .

وإنه لمن المفيد أن يقرأ الإنسان عدة مرات سورة الناس قبل الدخول فى الصلاة ، وأن يقول :

﴿رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ [1] .

فإذا ما تأهل الإنسان بذلك وتهيأ للصلاة أعانه الله ووفقه .

ومن المفيد فى ذلك أيضاً : أن يقوم بمران يومى على ذكر الله ، مع جمع شتات أفكاره لمدة خمس دقائق .

فإذا ما نجح فى ذلك فهو ناجح لا محالة بتوفيق الله ، فى تركيز ذهنه فى الصلاة .

على أنه إذا وطن نفسه على أن يحاول تدبر ما يقول وما يفعل منذ ابتداء الصلاة إلى انتهائها فإن ذلك يصرف ذهنه عن الدنيا إلى ما هو فيه ، وهو الصلاة .

---

(١) المؤمنون / ٩٧ ، ٩٨ .

ومن المعروف أن من يهتم بشيء انصرف فكره إليه ، حتى إذا ما حاول صرف فكره عنه فإنه لا يستطيع ، ولو كانت الصلاة فى موضع اهتمام الإنسان فإنه لا يستطيع أن يصرف فكره عنها ، ولو اهتم بها لكانت له قرة عين ، وكانت راحته فيها .

* * *